



أثر القوة السيبرانية الناعمة لشبكات التواصل الاجتماعي على المجتمعات العربية وسبل التصدي لها

The Impact of the Soft Cyber Power of Social Networks on Arab Societies and Ways to Confront it

بثينة مهيرة¹

¹ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة (الجزائر)، mehiraboutheina@gmail.com

ملخص

تسعى هذه الدراسة للتعرف على أهم معالم الفلسفة الأمريكية لدور شبكات التواصل الاجتماعي ودور استراتيجيات التي تتبناها وزارة الخارجية الأمريكية في تعزيز القوة السيبرانية الناعمة لهذه الشبكات في إطار ما تسميه "عولمة البشرية" التي تهدف إلى برمجة الأفراد المستخدمين لهذه الشبكات على أنماط تفكير المدرسة الليبرالية الأمريكية وسلوكياتها ومنظومة قيمها. ومن أبرز تأثيرات هذه القوة السيبرانية الناعمة حركات التغيير التي مست المجتمعات العربية أو ما يعرف بالربيع العربي. لتخلص هذه الورقة البحثية في الأخير لذكر أهم سبل التصدي للحرب الناعمة لمواقع التواصل الاجتماعي.

الكلمات مفتاحية: القوة الناعمة؛ الفضاء السيبراني؛ مواقع التواصل الاجتماعي؛ الأمن الاجتماعي؛ الدول العربية.

Abstract

This study seeks to identify the most important features of American philosophy for the role of social networks and the US State Department strategies in enhancing the soft cyber power of these networks within the framework of what it calls "the globalization of humanity" that aims to program individuals who use these networks on the thinking patterns of the American liberal school Among the most prominent effects of this soft cyber power are the movements of change that affected Arab societies or what is known as the Arab Spring. To



conclude this paper to mention the most important ways to address the soft war of social networking sites.

Keywords: soft power; cyberspace; social media; social security; Arab countries.

مقدمة

تشهد الساحة الدولية اليوم على جميع الأصعدة العديد من التغيرات خاصة بعد التطور التكنولوجي، فبعد أن كانت في القديم الدول الكبرى تستخدم القوة العسكرية والقوة الاقتصادية لبسط نفوذها و التي يسميها جوزيف ناي Joseph NYE القوة الصلبة **Hard Power** التي يمكن استخدامها لإقناع الآخرين بتغيير مواقفهم من خلال اتباع سياسة العصا و الجزرة، أصبحت هذه الدول و على رأسها الولايات المتحدة الأمريكية تستخدم أساليب جديدة و قوة ناعمة **Soft Power** ظهرت ملامحها مع أواخر ثمانينيات القرن الماضي بعد إقرار ما أسمته بـ "النظام الإعلامي العالمي الجديد" **New World Communication Order** و الذي تجلت معالمه في بسط سيطرة الدول المتقدمة على تداول المعلومات حاملة في طيات رسائلها و وسائلها الإعلامية كم هائل من المعلومات والثقافات الغربية على مجتمعات دول العالم الثالث و العالم العربي على وجه الخصوص.

وبالرغم من معارضة فكرة النظام الاتصالي العالمي الجديد من قبل هذه الدول والتي ترجمتها الاتفاقيات والمراسيم الدولية إلا أن الولايات المتحدة الأمريكية استمرت بالبحث عن سبل جديدة للتغلغل في نسيج المجتمعات المختلفة عبر العالم وكذلك البحث عن طرق سريعة لنفاذ قوتها الناعمة إلى هذه البلدان من خلال إتاحة بدائل اتصالية التفاعلية أفرزتها شبكة الإنترنت التي مكنت الأفراد من الوصول المفتوح **Open Access** للمعلومات والتبادل الحر لها.

ومع تزايد أعداد مستخدمي شبكة الإنترنت وبالخصوص مواقع التواصل الاجتماعي ظهرت مجموعة من المفاهيم والممارسات الجديدة التي أضحت دخيلة على المجتمعات العربية على وجه الخصوص. إذ تمثل الفلسفة الأميركية لدور شبكات التواصل الاجتماعي نفس الخلفية الفلسفية والفكرية لاستراتيجيات وسائل الاتصال والإعلام بالمدرسة الأميركية الكلاسيكية، و التي لخصها مارشال ماكلوهان في: "إن شكل وطبيعة وسائل الاتصال والإعلام في أي مجتمع وأي عصر هي التي تصوغ شكل التنظيم الاجتماعي والسياسي



وليس العكس، وإن نشر وتعميم وسائل الاتصال والإعلام في المجتمعات هو هدف في حد ذاته، لأن أدوات و وسائل الاتصال والإعلام تخلق شروطاً نمو البيئة الليبرالية التحررية والديموقراطية في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية". لذا تسعى هذه الورقة للإجابة عن التساؤل الرئيس التالي: ما هي أهم آثار استراتيجية القوة السيبرانية الناعمة لشبكات التواصل الاجتماعي على المجتمعات العربية و خطوات مكافحة تأثيراتها؟ وللإجابة عن هذا التساؤل تم تقسيم هذا المقال لعدة نقاط تلم بمشكلة الدراسة أهمها:

- الفلسفة الأمريكية لدور شبكات التواصل الاجتماعي واستراتيجيتها في تعزيز القوة السيبرانية الناعمة.

- أثر القوة السيبرانية الناعمة للشبكات الاجتماعية على الأمن السوسولوجي للمجتمعات العربية.

- سبل التصدي للحرب الناعمة لمواقع التواصل الاجتماعي.

أولاً: الفلسفة الأمريكية لدور شبكات التواصل الاجتماعي واستراتيجيتها في تعزيز القوة السيبرانية الناعمة:

نظراً لما لثورة المعلومات والفضاء الإلكتروني من أثر في تحولات مفهوم القوة، فقد ظهر مفهوم القوة السيبرانية أو الإلكترونية Cyber Power التي عرفها "جوزيف ناي" بأنها "القوة التي تعتمد على مصادر المعلومات السيطرة على الأنشطة الإلكترونية والحواسيب، والبنية التحتية المعلوماتية ذات الصلة بالفضاء الإلكتروني. أو القدرة على الحصول على النتائج المرجوة من خلال استخدام مصادر المعلومات المرتبطة إلكترونياً بالميدان المعلوماتي" ولقد ترتب على شكل القوة الجديد هذا ما يلي:

• تعدد شكل علاقة القوة، وتعدد مستخدميها الفاعلين وقوتهم النسبية، إذ حدد ناي ثلاثة أنواع من الفاعلين الذين يمتلكون القوة الإلكترونية وهم: الدولة، الفاعلين من غير الدول والنوع الثالث هم الأفراد.

• تغيرت الأدوات المستخدمة في شن الحرب، فأضحى الفضاء الإلكتروني بمثابة وسيلة للقيام بحروب غير تقليدية كالهجمات الإلكترونية، التجسس الإلكتروني إطلاق الفيروسات الخبيثة على الأجهزة الإلكترونية مما أدى إلى نشأة مصادر تهديد غير تقليدية و التي حددها جوزيف ناي بـ: التخريب



الاقتصادي، الجريمة، الحرب الإلكترونية الإرهاب الإلكتروني. إذ أن التهديدات غير التقليدية لها تأثيرها الخطير في القوة الصلبة نتيجة لصعوبة الردع في المجال الإلكتروني مقارنة بالمجالات الأخرى. وقد أوجدت الثورة المعلوماتية مزايا جديدة ومختلفة بين الدول أهمها المنافسة على إنتاج المعلومات التي صارت مصدرا جديدا وهاما من مصادر قوة الدول في السياسة الدولية (اللهيبي، 2014، ص 149، 150)

تمثل الفلسفة الأميركية لدور شبكات التواصل الاجتماعي وأدوات الإعلام والاتصال الخلفية الفلسفية والفكرية لاستراتيجيات وسائل الاتصال والإعلام التي تتبناها وزارة الخارجية الأميركية، وهي نفس خلفية المدرسة الأميركية الكلاسيكية، التي صاغها المفكر وعالم الاتصال مارشال مكلوهان التي تقول: "إن شكل وطبيعة وسائل الاتصال والإعلام في أي مجتمع وأي عصر هي التي تصوغ شكل التنظيم الاجتماعي والسياسي وليس العكس، وإن نشر وتعميم وسائل الاتصال والإعلام في المجتمعات هو هدف في حد ذاته، لأن أدوات ووسائل الاتصال والإعلام تخلق شروط نمو البيئة الليبرالية التحررية والديموقراطية في المجالات السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فالوسيلة هي الرسالة **The medium is the message** وفق التعبير الشهير لماكلوهان ومن يتصفح الموقع الإلكتروني الرقبي التابع لوزارة الخارجية الأميركية يجده حافلا بالوثائق التي تؤكد هذا المنحى، وذلك من خلال تمويل الوزارة للمشاريع التالية:

- وصول شبكة الإنترنت إلى كل إنسان على وجه الأرض بكلفة شبه مجانية على المشترك والمستخدم.
- تمويل مشروعات وتقنيات تكنولوجية مضادة للاحتواء والتحكم لمنع الحكومات والأنظمة في مختلف دول العالم من السيطرة والرقابة على أنشطة المستخدمين، أو التحكم بمستخدمي الشبكة.
- ربط وسائل التواصل الاجتماعي على الإنترنت بالهاتف المحمول لجعله بعيدا عن شبكات الاتصالات المحلية الخاضعة لسيطرة الحكومات (مركز الحرب الناعمة للدراسات، 2016، ص 92، 93).

تتبنى الإدارة الأميركية استراتيجية لنشر شبكة الإنترنت وتعزيز القوة السيبرانية إذن مجموعة من الأساليب والآليات التي تسعى من خلالها لبلوغ وتحقيق مجموعة من الأهداف العامة، وإن أبرز الوسائل الموظفة في ذلك شبكات التواصل الاجتماعي التي أضحت وسيلة لا يمكن الاستغناء عنها في التواصل من قبل كل الأفراد في كل دول العالم. ففي دراسة قام بها مركز الحرب الناعمة للدراسات



بعنوان "شبكات التواصل الاجتماعي منصات للحرب الأمريكية الناعمة" تم إجمال مختلف هذه أسس استراتيجيات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي التي تتبناها الإدارة الأمريكية فيما يلي (مركز الحرب الناعمة للدراسات، 2016، ص 100، 93):

1) عولمة البشرية وربطها بشبكة التكنولوجيا الأمريكية في إطار تعزيز القوة السيبرانية، وهو المصطلح الذي استخدمه "جوزيف ناي" مُنظّر القوة الناعمة قائلاً: "إنّ هذه القوة ستكون الأخطر والأكثر فعالية في القرن الحادي والعشرين"، وهو ما عبّرت عنه نصوص المجلة الإلكترونية لوزارة الخارجية الأمريكية بالنص الآتي: "لقد وضعنا العالم بين أصابع أيدي المستخدمين، فالمستخدم يتعرّف على العالم من خلال لوحة الكيبورد Keyboard أو شاشة اللمس Touch في الهواتف الذكية، ما يؤدي إلى برمجة الأفراد المستخدمين لهذه الشبكات على أنماط تفكير المدرسة الليبرالية الأمريكية وسلوكياتها ومنظومة قيمها.

2) ربط الأفراد والمجتمعات بشبكات التواصل الاجتماعي، التي هي أدوات "التكنولوجيا السياسية" Political Technology وفق تعبير "إريك شميدت"، مدير شركة "جوجل Google" العالمية، فقد لعبت هذه التكنولوجيا السياسية دورًا في تحريك وتعبئة الاحتجاجات في إندونيسيا عام 1998 لإسقاط سوهارتو، وفي احتجاجات هونغ كونغ عام 2014 لاسقاط الوصاية الصينية على حكومتها، وفي أحداث ما سُمّي بالـ "الربيع العربي"، فمَنْ يقرأ كتاب: "كيبورد وميدان" الذي أصدرته "المنظمة العربية لمعلومات حقوق الإنسان" عام 2012، يتأكد من ثنائية التكنولوجيا والسياسة، فالكيبورد (لوحة المفاتيح) له دلالة على مفردة التكنولوجيا، والميدان له دلالة على التأثير والدور السياسي، ومن هنا ليس صدفة قول "أليك روس Alec Rose" المستشار التقني لوزارة الخارجية الأمريكية: "إنّ الإنترنت أصبح تشي جيفارا القرن الحادي والعشرين".

3) ضرب القيم المحافظة للمجتمعات عبر شبكات التواصل الاجتماعي وتطبيقات الهواتف الذكية، إذ أنها مُصمّمة لفتح قنوات الاتصال والتواصل بين النساء والرجال: الاختلاط والصدّاقة الإلكترونية، وهو ما يغيّر من التصور المحافظ للقيم الدينية والاجتماعية وأنماط العلاقات بين الجنسين: الذكر والانثى؛ فمجرد أن تُفتح قنوات التواصل، ويخرج الناس إلى الشبكات الإلكترونية، تعتبر الخارجية الأمريكية أنّ



الليبرالية والقيم الأميركية في مرحلة توسُّع، لأن المُستخدِم لهذه الوسائل سيصبح حتمًا في دائرة تأثير القوة الأميركية الناعمة.

4) استكشاف وبناء القيادات المستقبلية، والتعرّف على الناشطين، ودعم شبكاتهم ومُنظّماتهم، بدليل تأسيس الخارجية الأميركية لتحالف المنظمات الشبابية، الذي يُديره "جادر كوهين" مدير لجنة التخطيط السياسي، كما يستدلُّ على ذلك، أيضًا، من خلال نشر موقع وزارة الخارجية الأميركية كتابٍ ودليلٍ إرشاديٍّ لتأسيس وتنمية "منظمات المجتمع المدني 0.2"، وغيره من الكتب والأدلة الإرشادية للغاية نفسها.

5) توحيد اتجاهات المعرفة البشرية: فموسوعة "ويكيبيديا" العالمية تديرها الإدارة البريطانية - الأميركية، وهي مصممة لإعادة كتابة موسوعة ودائرة معارف عالمية، حيث يتردد علمها حوالي نصف مليار طالب وباحث حول العالم، فمحركات البحث العالمية اجتذبت الجمهور نحو المرجعيات المعرفية الشبكية، وفككت المرجعيات المعرفية التقليدية والتراثية عن طريق استقطاب الأفراد والناشطين من أيدي المرجعيات والمؤسسات التقليدية: القوى السياسية والأحزاب، العائلات والأسر، المدارس والجامعات، الجمعيات والنوادي الثقافية، حيث جذبهم نحو المنصات والشبكة العالمية الخاضعة للهيمنة الأميركية.

6) تعزيز فكرة العولمة الجغرافية والحدود المفتوحة، حيث تلعب خرائط "جوجل" الجغرافية Google Maps دورًا ناعمًا في هذا المجال، باعتبارها أداة للتجسس من خلال جمع المعلومات وأرشفة الصور والخرائط، التي ينشرها مستخدمو شبكات التواصل الاجتماعي، وربطها بوكالة الأمن القومي الأميركي للمعلومات الجيومكانية (National Geospatial-Intelligence Agency (NGA).

7) الترويج لنمط الحياة الاستهلاكية والروح الرأسمالية وصولاً لـ "إنترنت الأشياء" من خلال:

• تسعى الثقافة الأميركية والغربية لدفعنا إلى التسوق و استبدال أماكن التسوق التراثية و القديمة بأسواق حديثة، المولات Malls نموذجاً ، و بدل زيارة المساجد و عقد جلات ثقافية ذهبنا نحو جلسات التواصل الإلكتروني، بحيث تلعب وسائل التواصل الاجتماعي دوراً بارزاً في التسويق و الإعلانات التجارية، حتى أنها دخلت إلى لائحة "المخاطر" الاستثمارية بقوة لتصبح من بين أول 5 مخاطر استثمارية مالية لدى الشركات ، ففي العالم العربي يلجأ أكثر من 86% من المستخدمين



الناشطين على الإنترنت إلى مواقع التواصل الاجتماعي للحصول على الأنباء والمعلومات و المشورة حول مختلف المسائل التسويقية و التجارية التي تخصهم.

• يخفي هذا الهدف التجاري و الاقتصادي في الظاهر هدفا ثقافيا في الباطن، فهو يقوم على تنمية الروح الاستهلاكية عند المستخدمين من خلال الدعاية و الحث على الشراء و التجديد في شراء الأشياء و السلع، و الوصول إلى بث دورة استهلاكية مرتدة و مدمرة، أي "استهلاك الاستهلاك"، بحيث أن المشتري ليس له أي هدف حقيقي من الشراء و التسوق سوى تلبية رغبة نفسية عارمة دافعة له، لا يعرف كيف نشأت لديه، و بديهي أنها لم تنشأ عن الحاجة الحقيقية للسلع بل من خلال الدعاية عبر تقنيات التسويق لوسائل التواصل الاجتماعي و الوسائل الإعلامية و الإعلانية الأخرى.

• تؤدي هذه الروح الاستهلاكية والرأسمالية إلى ربط مجتمعاتنا العربية بالسوق الأمريكية ككتل من المستهلكين، لا كمنتجين أو مصدرين، حيث تعمل الشركات الكبرى في عالم الإنترنت على الوصول إلى مرحلة إنترنت الأشياء بحلول عام 2025، لتصبح بذلك معظم الأشياء "الجامدة" المحيطة بنا متصلة بالإنترنت، وهو عالم سيربط السلع الإلكترونية المنزلية بالإنترنت ابتداءً بالثلاجة وفرشاة الأسنان وصولاً إلى المدن الذكية.

وتقوم وزارة الخارجية الأمريكية بتوظيف شبكات التواصل الاجتماعي بشكلٍ فاعل، ومَنْ يبحث في موقع وزارة الخارجية الأمريكية عن كلمة "وسائل التواصل الاجتماعي"، يجد مئات النتائج حول برامج وأنشطة تتصل بوسائل التواصل الاجتماعي ودورها في بناء "المجتمع المدني العالم. ومن المعلوم أنّ برنامج المجتمع المدني المرمّز له بـ 0.2، هو أحد أهم أهداف الوزارة، وهو مشروع يُقصد منه باختصار تقليص نفوذ الكيانات والمجتمعات والتيارات الثقافية والفكرية والسياسية المُنافِسة لصالح تعزيز تيار المجتمع المدني المُعولَم الموالي للولايات المتحدة وسياساتها وقيمها، حيث تستثمر وزارة الخارجية الأمريكية مئات الملايين من الدولارات في تمويل برامج تقنية لدعم تقنيات التّملُّص من رقابة الحكومات على شبكات الإنترنت تحت عنوان: "الحق في الوصول إلى شبكة الإنترنت". ويكمن الهدف من وراء هذه البرامج والتقنيات هو بقاء الهيمنة الثقافية والاقتصادية والسياسية للإدارة الأمريكية على جمهور المُستخدمين الذي يزيد عن ملياري مُستخدمٍ حول العالم (مركز الحرب الناعمة للدراسات، 2016، ص 103).



ثانيا: أثر القوة السيبرانية الناعمة للشبكات الاجتماعية على الأمن السوسيوولوجي للمجتمعات العربية:

يعرف الأمن الإعلامي السيكلوجي حسب صحيفة الأهرام المصرية بأنه: " حالة الحماية للإنسان نفسيا من التأثير الإعلامي المدمر أي إدخال معلومات هدامة إلى وعي أو اللاوعي الإنسان الذي يؤدي إلى استيعاب غير المناسب للواقع، جزءاً لا يتجزأ من الأمن الإعلامي". ويسمح التطور المتسارع للوسائل التقنية المتخصصة القادرة على التأثير على الحالة النفسية ووعي الناس، والاستخدام للأجهزة والمعدات التقنية أو تدميرها والتي تضمن الحفاظ على المعلومات ونشرها بالحديث عن وجود سلاح إعلامي يمكن خوض حرب إعلامية. وتعطي اللجنة الموحدة القادة هيئة الولايات المتحدة الأمريكية التعريف التالي: "الحرب الإعلامية هي الأفعال المتخذة للوصول إلى التفوق الإعلامي في مجال دعم الاستراتيجية العسكرية الوطنية عن طريق تأثير على المعلومات وعلى نظم المعلومات عند الخصم وفي نفس الوقت ضمان أمن وحماية الخاصة ونظم المعلومات الخاصة" (الرمحين، الجنابي، 2019، ص 153).

حيث تعطي الولايات المتحدة الأمريكية أهمية خاصة لضمان الأمن الإعلامي ، ففي عام 2001 أعد خبراء شركة " راند Rand " في الولايات المتحدة التقرير "rand / mr - 1-33 - osd" of" the Emergence Noopolitile : toward an American information strategy، والذي جاء فيه أنه بفضل الثورة الرقمية ينشأ مجال جديد لاستراتيجية السياسة الداخلية والخارجية إذ يتحدث التقرير عن السياسة الجديدة كشكل جديد للقيادة السياسية وكأسلوب لتنفيذ السياسة الخارجية في عصر المعلومات ، بخلاف القوة المستخدمة سابقا أي أن الأفكار والقيم الأخلاقية والقوانين تنتشر حاليا بواسطة ما يسمى بـ "القوة الناعمة" من طريق (الجو الجديد Hoocppal) المتضمنة الفضاء الشامل لنشاط وسائل الإعلام الجماهيري. وفي تقرير آخر لشركة Rand جاء الحديث عن صراع الجيل الثاني الإعلامي الاستراتيجي الذي يكون مشروطا بالثورة المعلوماتية، وبمساعدة السلاح الإعلامي للجيل الجديد في مجال مواجهة الخصم يقترحون حل المسائل التالية (الرمحين، الجنابي، 2019، ص 154):

- إحداث جو من الفساد وعدم الروحانية، والعلاقة السلبية بالإرث الثقافي للخصم.

- التحكم بالوعي الاجتماعي والتوجه السياسي للفئات الاجتماعية لسكان بلاد الخصم بهدف إحداث توتر وفوضى سياسية.



- زعزعة الاستقرار في العلاقات السياسية بين الأحزاب والمنظمات الاجتماعية في الدولة العدو بهدف استفزاز النزاعات وتدمير الذات فيها.

- استفزاز المصادمات الاجتماعية والسياسية والدينية - تخفيض مستوى الصمات الإعلامي لأجهزة السلطة أو استخدام القرارات الإدارية الخامة.

- تشويه المعلومات المقنعة للسكان حول عمل أجهزة الدولة والتشهير بها سف السمعية الدولية للدولة وعبره.

و قد سلط المفكر والباحث العربي اللبناني "علي حرب" الضوء على هذا الجانب من أثر القوة السيرانية الناعمة على الدول العربية في كتابه المعنون بـ: "ثورات القوة الناعمة في العالم العربي، من المنظومة إلى الشبكة"، وقد قام بهذا العمل التحليلي لظاهرة مركبة سياسياً واجتماعياً واقتصادياً وفكرياً، وهي "الثورة"، خصوصاً تلك التي عرفتها شعوب الدول العربية غرباً وشرقاً. ويبرز عنوان هذا المؤلف، ليختزل موضوعه بشكل تركيبى، فالثورة الناعمة مصطلح جديد ارتبط تشكله بظهور ثورات الشعوب السلمية، حيث سمة اللاعنف هي الميزة الأساسية التي يخلها المصطلح. والشق الثاني من العنوان "من المنظومة إلى الشبكة"، يخلل كيفية تحول الأفكار والقيم الوطنية في ظل تحولات الوسائط البشرية التواصلية الجديدة، فلقد تطرق الكاتب إلى طريقة التحول هذه في ظل ثورات الربيع العربي التي استطاعت أن تستثمر وسائل التكنولوجيا والتواصل الحديثة لكي تبني قيماً جديدة انفكت من المنظومات السلطوية التقليدية بما فيها أنظمة الحكم السياسية والدينية والتاريخية، لكي تتحرر في إطار قيم كونية مترابطة فيما بينها (الليان، 2018، <http://acrseg.com/40676#>).

إذ يُشكل موضوع الثورة جوهر هذه الدراسة وكُنْهها في علاقتها بعملية التحديث الفكري والاجتماعي والسياسي لمجتمعات الشرق الأوسط وشمال أفريقيا. لذلك تم استثمار الميادين الافتراضية و"الأنوسترات" الإعلامية" بتعبير الكاتب. والقسم الثاني يتطرق لمراحل الإرهاصات الأولى، لتشكل الديمقراطية في المجتمعات العربية أو ما يسمى بالانتقال الديمقراطي. وهنا كانت صدمة النخب السياسية والثقافية التقليدية غير القادرة على فهم وتتبع آليات عمل التحولات المجتمعية الحديثة التي أفرزت حركة التحرر داخل شعوب الربيع العربي. لقد تم تجاوز مفاهيم وميكانيزمات الثورات التقليدية من



مفاهيم الجماهيرية إلى الشعبوية ومن مفهوم القائد البطل إلى الفاعل المدني، ومن مفهوم القوة المسلحة إلى القوة السلمية، ومن مفهوم الطائفية إلى المواطنة التشاركية، إنها ثورات القوة الناعمة بتعبير علي حرب (اللبان، 2018، <http://acrseg.com/40676#>).

غيرت ثورات الربيع العربي الشعوب العربية وواقعها المعاش من ناحية أدواته و مفاهيمه و خريطته و قواه و الفاعلين على مسرحه، فهي أكدت بأنها ثورات الجديدة ناعمة لم تجعل من القوة في بداياتها ملاذا للتغيير و إنما استخدمت ووظفت منصات التواصل الاجتماعي لهذا التغيير و هو ما أكده علي حرب بقوله بأن الثورات الرقمية العربية أيقظتهم من سباتهم الإيديولوجي و الثقافي إذ أن الأجيال الشابة من العاملين على الكتب الرقمية الذين أحسنوا قراءة المعطيات و فك الشيفرات و استثمروا عقولهم بإتقان لغة الخلق التحول ، هم الذين سيغيرون وجه العالم العربي. فإذا كان لكل عصر ثوراته، فلكل ثورة أساليبها ومفرداتها.

لذلك يرى علي حرب بأن: " من حيث الأسلوب، فثورات الربيع العربي ثورات سلمية، تشتغل بالقوة الناعمة لا بالقوة العارية، كما كان من أمر الثورة في تونس ومصر بشكل خاص. وإذا كان للثورات الرقمية دروسها، فهي تعني بأن القوة الناعمة والفائقة - هي أقوى من الانظمة الامنية وأجهزتها المخبراتية. وهكذا فالثورات عربية لم تصنعها السيوف والرشاشات، بل الكتب الرقمية والشاشات الخارقة للجدران الحديدية والعقائد المغلقة. إذن فإن ثورات الربيع العربي الجديدة، الناعمة، المدنية، تتعامل مع الفرد كمنتج وناشط ومبدع وفاعل وصانع ومشارك في بناء بلاده، كما شارك في صنع ثورته (حرب، 2012، ص30، 30).

ولعله من اللافت للانتباه أن هذه المواقع أصبحت فاعلاً غير تقليدي في العلاقات، سواء بين الدول وبعضها البعض، أو داخل النظام السياسي نفسه؛ بين الحاكم والمحكومين. وأصبحت مواقع التواصل الاجتماعي أحد الأدوات الرئيسية، ليس فقط لمشاركة الأحداث الاجتماعية، والخواطر الشخصية، والأفكار الفردية، في إطار جمعي بين المستخدمين، أو للتعبير عن الأفكار السياسية والتوجهات الأيديولوجية والمواقف الرسمية للمسؤولين. ولكن وصلت إلى مستوى أبعد من ذلك؛ فأصبحت أحد أدوات صناعة الأحداث والأخبار. وبالرغم من تعدد مميزاتها، إلا أنها تم استخدامها على مستويات تهدد الأمن القومي للدول؛ مثل تنظيم مظاهرات أو توجيه رأي عام أو جمع معلومات عامة أو تشبيك تنظيمات إرهابية أو تجارة في السوق السوداء أو جمع تبرعات لنشاطات مشبوهة أو تنظيم احتجاجات إلكترونية. وقد برزت



ظاهرة مواقع التواصل الاجتماعي بوضوح خلال ثورات الربيع العربي، وتسببت في إقلاق العديد من النظم السياسية والحكومات. واتجهت بعض الدول إلى إغلاقها والبعض الآخر إلى مراقبتها (خليفة، 2016، ص22).

لم تكن القوة الناعمة لشبكات التواصل الاجتماعي والتي كانت سببا في اندلاع ثورات الربيع العربي بالعديد من الدول العربية على غرار تونس، مصر، ليبيا، سوريا، وغيرها سببا وحيدا في بدايتها وإنما كانت موجهة من أطراف أخرى تتحكم في آلياتها وأدواتها والمتمثلة في شبكة إنترنت وكل المواقع المتصلة بها بما فيها شبكات التواصل الاجتماعي ك:"الفيس بوك" و"تويتر" و "اليوتيوب". ومن أبرز الذين دعموا هذه القوة الناعمة "جارد كوهين" الدبلوماسي الأميركي ذو الأصول اليهودية، والذي عين سنة 2006 رئيساً لقسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأميركية، ومديراً لتحالف المنظمات الشبابية بتوجيه من كوندوليزا رايس مستشارة الأمن القومي ووزيرة الخارجية الأميركية آنذاك والذي تسلل إلى العالم العربي قبل اندلاع ثورات الربيع العربي.

و يمكن تسليط الضوء على السيرة العملية لشخصية "كوهين" المحورية، التي لعبت دوراً مهماً في مجال التغلغل الثقافي والسياسي الأميركي في عقول الجيل العربي الشاب حيث تظهر تحركاته المنهجية الصلة الوثيقة، وعامل الارتباط بين شبكات التواصل الاجتماعي والحرب الناعمة على العالمين العربي والإسلامي، وقد ألقى "كوهين" في شهر أكتوبر من العام 2007 محاضرة في معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى تحت عنوان: "النساء والشباب والتغيير في الشرق الأوسط ومفهوم الديمقراطية الرقمية"، حيث تحدث فيها حرفياً عن استراتيجية الدبلوماسية الرقمية قائلاً: "الشباب والنساء في الشرق الأوسط أصبحوا ناضجين لاستقطاب التأثير الخارجي عبر بوابات التكنولوجيا التي تشمل الفضائيات التلفزيونية والهواتف المحمولة وشبكة الإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي". كما كتب "كوهين" مع أستاذه الدكتور إريك شميدت Eric Schmidt مدير شركة "جوجل" Google كتاب: "العصر الرقمي"، وكتب سابقاً أطفال الجهاد "Children of Jihad" كاشفاً بعضاً من عقيدة التكنولوجيا السياسية Political Technology التي سيطرت على عقول النخبة الأميركية في الآونة الأخيرة (مركز الحرب الناعمة للدراسات، المرجع السابق، ص107، 106).



واعتمد "كوهين" على بناء شبكة علاقات مع الناشطين الشباب، ويحفل موقع "اتحاد المنظمات الشبابية" الذي يديره بصور فوتوغرافية أخذت له مع العشرات من الشباب والناشطين الفلسطينيين والعرب، وهي لا تزال منشورة على صفحات موقع وزارة الخارجية الأميركية. كما أشرف سنة 2008 على خطة وضعتها وزارة الخارجية الأميركية تحت عنوان: "تحالف الحركات الشبابية"، حيث تركز الخطة على كيفية استخدام المواقع الإلكترونية الاجتماعية مثل "فيس بوك" كأداة لتعزيز التنظيمات والنشاطات الشبابية ضد بعض الأنظمة. وفي العام 2011، عام الثورات العربية، برز دوره من خلال اتصالاته التنسيقية مع الناشط المصري "وائل غنيم" الذي كان يعمل مديراً لفرع شركة "جوجل" Google في مصر والشرق الأوسط وشمال أفريقيا، والذي يُعدّ من الذين ألهبوا احتجاجات الثورة المصرية في 25 يناير من عام 2011 من خلال نشاطه عبر صفحة "كلنا خالد سعيد"، ورسائله وخطاباته التلفزيونية، ومن أوائل الذين نزلوا إلى شوارع القاهرة (مرجع نفسه، ص 108، 107).

ثالثاً: سبل التصدي للحرب الناعمة لمواقع التواصل الاجتماعي:

سلطت العديد من الدراسات التي الضوء على هذا الجانب تسعى لوضع مجموعة من السبل للتصدي للأثار السلبية للشبكات الاجتماعية والتي تعتبر من أهم وسائل القوة الناعمة الأمريكية، وهي عبارة عن اقتراحات علاجية تجعل الأفراد وحتى الدول في مأمن من مختلف التهديدات والأخطار التي تهدد أمنهم النفسي الاجتماعي وحتى أمنهم القومي. فمن أجل لبلوغ سبل التعامل مع الحرب الناعمة ووسائل التواصل الاجتماعي يجب الأخذ بعين الاعتبار عدد من المعطيات حولها وتحويلها لفرص لخدمة الفرد والمجتمع خاصة وأنها تعتبر من أهم الوسائل التواصلية في عصرنا الحالي لنصف سكان الكرة الأرضية أي لـ 3 مليار مستخدم وفق احصاءات الاتحاد الدولي للاتصالات.

إذن فلا بد الأخذ بعين الاعتبار بأن استخدام مختلف الوسائل الاعلامية يخضع في العديد من الأحيان من منظور اقتصادي إلى قانون العرض والطلب وكذلك قانون انخفاض الميل الاستهلاكي للجمهور ما يرجع انخفاض جاذبيتها والإقبال عليها في السنوات المقبلة. كما أنه لا يمكن لهذه الآليات بأن تتحكم بشكل مطلق بجميع المستخدمين باختلافهم إلا بموافقة طوعية منهم. و يمكن إجمال مختلف السبل التي تمكن الأفراد و الدول من مواجهة تهديدات وسائل التواصل الاجتماعي و التي لخصتها نتائج و توصيات دراسة مركز



الحرب الناعمة بعنوان "شبكات التواصل الاجتماعي منصات للحرب الأمريكية الناعمة" فيما يلي (المرجع نفسه، ص 183، 186):

1) تنمية روح التعامل الواعي والمتبصر مع هذه الشبكات فلا مناص من الاعتراف بأن هذه الوسائل قد أصبحت جزءا من المشهد المحلي والعالمي، وهناك تجارب دولية تعاملت بروح واقعية وعلمية وإيجابية مع هذه الظاهرة، حيث تبقى الوسائل والوسائط مجرد أدوات إذا ما كان لدينا مستخدم لديه الوعي والبصيرة، ويبقى للفرد حرية صناعة المحتوى، بعد أن يخضع للتدريب والتوجيه، ليصبح فردا بصيرا ومستقيما مثقفا وإعلاميا.

2) الاستفادة من تجارب الدول والحكومات فقد أحسنت بعض الدول كالصين وروسيا التعامل مع هذا الملف، ووضعت إستراتيجيات للتنمية الثقافية والمعلوماتية الوطنية للحد من التغلغل الثقافي والسياسي الأمريكي من خلال هذه الشبكات، عندما حققت اختراقات مضادة عبر مجموعات من شبكات القرصنة والجيوش الإلكترونية، ومنعت التأثير الأمريكي الناعم قدر المستطاع، لدرجة أن وزير الدفاع الأمريكي أصبح يفاوض الصين وروسيا على أمن شبكة الإنترنت العالمية.

3) نظرا إلى حجم الأبحاث والدراسات حول وسائل التواصل الاجتماعي ووجود مئات الكتب والمصادر والمقالات والأبحاث، فلا حاجة للمزيد من الجهود على المستوى النظري، بل تبرز الحاجة إلى المسوحات الميدانية لاستطلاع ورصد السلوكيات الجديدة، ورصد أرقام وقواعد بيانات مستخدمي التواصل الاجتماعي ودراسة وتحليل مدى تأثير منظومة القيم بهذه الاستخدامات والتطبيقات، وحصر الأضرار وترشيد الاستخدام. وهذا ما يستدعي إنشاء مراكز بحوث متخصصة.

4) كتابة وطباعة دليل إرشادي ومادة دراسية تحت عنوان: «فن التواصل الاجتماعي السليم» أو «التربية على وسائل التواصل»، من خلال لجنة خبراء تشكل من عدة مؤسسات ومراكز دراسات وخبراء في التقنيات الاتصالية والتربية. وتجدر الإشارة إلى أن هناك 70 دولة حول العالم تدرس مقررات دراسية تحت عنوان: «التربية على وسائل التواصل» أو الميدياتيك باللغة الاصطلاحية الفرنسية، وهو ما أكدت عليه مجلة اتحاد إذاعات الدول العربية في عددها الصادر منذ العام 2005، لكن هذا الفن لم يدرس بعد في البلدان العربية والإسلامية إلى اليوم.



5) تأسيس وترخيص جمعية تواصل اجتماعي متخصصة بالإرشاد والتوجيه يشارك في قيادتها وإدارتها ناشطون على شبكات التواصل من الشباب أنفسهم، وهم الشريحة الأكثر استعمالاً لوسائل التواصل الاجتماعي بنسبة 90%.

6) عقد مؤتمر بمشاركة الشباب والطلاب والناشطين في المنطقة العربية ولاحقاً على مستوى الدول الإسلامية والدول المناهضة للحرب الناعمة الأميركية للتشاور وتبادل الخبرات والمعلومات في سبل مواجهة الظاهرة وتداعياتها وأثارها، وذلك من أجل إشاعة الثقافة العلمية الشبكية، ومن خلال النقاش العلمي الهادف حول معطيات علمية عن الأضرار والمخاطر والسلبيات الصحية والنفسية وترويج بعض المعطيات حول السلبيات الأمنية، كشراء وزارة الدفاع الأميركية لفيديسبوك لأهداف تجسسية.

7) تدريب جيش الناشطين والمستخدمين لوسائل التواصل الاجتماعي على سبيل تحويل هذه الوسائل من تهديدات ثقافية وأمنية وسياسية إلى فرص لخدمة المجتمع، وتهديد للعدو من خلال قرصنة المواقع المعادية وفضح الخطط وبيان الحقائق.

خاتمة:

في ختام هذه الورقة البحثية يمكن القول بأن لشبكات التواصل الاجتماعي دور بارز في خدمة استراتيجية القوة السيبرانية الناعمة الأميركية، وما يثبت ذلك ما عاشته بعض الدول العربية بما يعرف بالربيع العربي والذي يعبر عن احتجاجات أو بمصطلح آخر ثورات ناعمة للمجتمعات المدنية العربية رغبة منها بالتغيير نحو واقع أفضل موظفة بذلك هذه المنصات الالكترونية. فالمتفحص للمشاريع والاستراتيجيات الأميركية تجد بأن هذه الثورات جاءت في سياق مشروع المجتمع المدني 0.2 الذي انتهجته وزارة الخارجية الأميركية برئاسة الوزيرة السابقة هيلاري كلينتون. إن حركات التغيير التي مست العالم العربي لم تكن وليدة الشبكات الاجتماعية لكنها ساهمت في تسريعها وزيادة من حدتها كما أنها ألغت في العديد من الدول السيطرة المطلقة للقوى السياسية والحاكمة في هذه البلدان على الشبكة العنكبوتية.



المصادر والمراجع:

أ. الكتب:

- 1) حرب، علي، 2012، ثورات القوى الناعمة في العالم العربي: من المنظومة إلى الشبكة، ط2، الدار العربية للعلوم، بيروت.
- 2) خليفة، إيهاب، 2016، حروب مواقع التواصل الاجتماعي، ط1، دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.
- 3) الرمحين، عطا الله، الجنابي، حارث دوهان، 2019، الإعلام والأمن السيكيولوجي في وسائل الإعلام الجماهيري، ط1، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان.
- 4) اللهيبي، طه، 2014، القوة الذكية في سياسة أمريكا الخارجية تجاه منطقة الشرق الأوسط (2001-2008)، ط1، دار البشير للثقافة والعلوم، القاهرة.
- 5) مركز الحرب الناعمة للدراسات، 2016، شبكات التواصل الاجتماعي منصات للحرب الأمريكية الناعمة، ط1، مركز الحرب الناعمة للدراسات، بيروت.

ب. المواقع الإلكترونية:

- 6) اللبان، شريف درويش، الأربعاء 07 فيفري 2018، "الثورة الرقمية وتحولات القوة الناعمة"، المركز العربي للبحوث والدراسات، متاح عبر موقع: <http://acrseg.com/40676#>، تاريخ الزيارة: 2021/11/14.